المحور التاسع

ستراتيجية العتبات النصيّة

س1: العتبات النصية صارت اليوم ذات أهمية كبيرة في الدرس النقديّ الحديث، فبعد ترجمة أطروحات جيرار جينيت حول العتبات النصية أصبحت الشغل الشاغل للكثير من النقاد والكتّاب معاً، هل تهمّك العناية بها، أم انّ ما يهمك هو المتن النصيّ بالدرجة الأساس؟

ج1: إنّ السردي يشكّل وإن تغيّرت ألوانه وحدة واحدة متكاملة، ومحاولة تغليب طرف منه على طرف أخر محاولة غير علمية وليست واقعية، هذا يحيلنا على ما كان من انحياز لبعض المذاهب الأدبية للمضمون على حساب الشكل، العتبات النصية طرفاً بانياً في الشكل السردي فلا يمكن أن نغلب حضورها على المتن أو أن نلغي حضورها أو حتى أن نقلل من فاعليتها في تشكيل النص، فضلاً عن ذلك أرى في هذه العتبات إضافية جمالية لا يوجد ما يشبهها في المتن.

إن الجمالية في العتبات تقبع في موضع تشكلها ضمن النص وفي خصوصيتها، هذا يضفي عليها قيمة خاصة ومختلفة، فهي تكون دائماً متشكلة بتمييز واختلاف عن المتن وفي ذات الوقت هي أضوية كاشفة على النص، ولا يكون النص ضوءاً عليها، إنّ تبعادها من النص لا يلتقطه غير المتلقي الواعي في حين إن وجودها يجعل النص أكثر حضوراً.

أنا شغوف في جعل هذه العتبات جزءاً مهماً ومؤثراً فيما أكتب، وأعتقد أنني قد أشبعت روايتي "عمان ورد أخير" بالكثير منها، فهذه الرواية ولحالتية موضوعها فقد شكل تخدامي المكثف للعتبات مدداً مهماً في كتابة هذه الرواية.

س2: هل تغيّر اشتغالك على العتبات النصية في قصصك ورواياتك بعد شيوع المعرفة النقدية الجديدة في مجال العتبات؟ وهل أضافت لك المعرفة النظرية في هذا المجال ما جعلك تدقق كثيراً فيها قبل الكتابة وفي أثنائها وبعدها؟

ج2: أعترف وبصدق بأني لم أتعرف على هذا المصطلح العتبات النصية إلا بعد إطلاعي على ؤالك. المثال الذي أوردته في الحديث عنها وكثافة وجودها في رواية "عمان ورد أخير" التي صدرت في نة 1992 تؤكد صدق ما أقول.

س3: العنوان عتبة مركزية من عتبات النصّ، وربّما هي أهم العتبات النصية، ما سياستك السردية للتعامل مع عناوين قصصك ورواياتك؟

ج3: قلت لك بأنني إن ان تحرني اللفظة لجمال نُطقها أحياناً أو للصورة المكثفة التي تنبعث منها أو لدلالتها التقدمية لما يلحق بها، هذا الافتتان جزء من

تشكلي الجمالي الذاتي بمجمله الحياتي والكتابي منه أكون حريصاً على انتقاء اللفظة في مجمل آلاف الكلمات التي يضمها العمل الذي أكتبه، وهذا الاهتمام في الانتقاء يزداد أكثر عند اختياري للعنوان.

إن العنوان حقيقة هو عتبة النص ليس لكونه يقع في المقدمة وحسب بل لأنه المفتاح الذي يدلف بي إلى عالم النص، إذ يشعرني بأنني عالم إلى أين سوف يفضي بي الباب الذي سأفتحه بهذا المفتاح. لذلك فقد كنت معنياً بشدة بوضع عناوين كتبي وأعتقد بأنني قد وُفقت في هذه الاختيارات، ولا أرى أن هناك عنواناً قد كان مخيباً لي أو للقارئ أقصد العنوان العام لمؤلفاتي، إذ إنه من الممكن أن بعض العناوين الفرعية وخاصة في مجموعاتي القصصية قد لا تكون كذلك.

س4: عتبة الاستهلال هي الأخرى من العتبات المهمة، حتى أنّ باسترناك قال ((السطر الأول هبة من السماء)) تعبيراً عن خطورته في انطلاق الكاتب بعد أن يتجاوز عتبة الاستهلال نحو فضاءات المتن النصيّ، هل تعاني من ذلك في صوغ هذه العتبة؟

ج4: باسترناك هو الهبة السماوية في وضعه هذا التعريف، إن ولوجي إلى النص في السطر الأول يكون هو النواة الكتابية التي تنشطر عندي ويصير من الصعب بعدها أن تكفّ عن الانشطار، قد أُقدم في كثير من الأحيان على إعادة كتابة فقرات أو فصول في بعض أعمالي لكن لم يصدف بالمطلق أن أعدت صياغة السطر الأول، إن إعادة صياغة السطر الأول تعني توقف العمل كاملاً والبحث عن عمل أخر مختلف يتوائم مع السطر الجديد الأول الذي سأكتبه، من هنا لم أقدر على الرغم من الضغوطات التي نزلت علي من الناشرين ومن الأصحاب لتغيير السطر الأول من رواية "رائحة اللوز المر"، بأن أغيّر شيئاً في هذا السطر حتى وأنا متجه إلى المطبعة لطباعة الرواية، وكنت أصارع الطابع الذي هدّدني بأنه لن يضع قلمه على الكتاب إن بقي هذا السطر على ما هو عليه وأن هذا سوف يكلفني أكثر، لأنه سوف يخالف القوانين في قبوله طباعة مثل هذه العبارة إلا أنني لم أستطع أن أبدل ولا كلمة واحدة من هذا السطر وتحملت الكلفة الإضافية التي فُرضت علي.

س5: عتبة الخاتمة هي الأخرى عتبة خطيرة ومحيّرة أحياناً، وينبغي أن تُصاغ بطريقة بالغة الدقة والبراعة لأنها المآل الأخير للقصص والروايات، كيف تنهي قصصك وروياتك، وهل تختلف معاناة الصوغ بين قصة وأخرى، ورواية وأخرى؟

ج5: تعاملي مع النهايات يشبه إلى حد بعيد كيفية تعاملي مع البدايات، النهايات تؤثر فيها أحياناً شخوص أو أحداث لم أكن قد أعطيتها دورها الحقيقي وهي لا تزال فكرة في رأسي، وهذا لا يحدث كثيراً معي لكنه يحدث، في رواية (البوكس) كنت

أحـب للنهاية منذ الـسطر الأول في الرواية، لكنه ما لـم تجد من أحداث جعلني أترك النهاية غير محـسومة مثلما كنت أراها وقت بدأت في كتابة الرواية، التشكيلات الإضافية التي صنعها الـسارد جعلت من فكرة النهاية التي كنت أراها غير مؤثرة ولا تترك انطباعاً مقيماً عند القارئ حين قرر أحمد البوكس بطل الرواية أن يكون هو صاحب مصيره، في الوقت الذي كنت أرى منذ البداية أن الآخرين هم من يقررون مصيره، هذه المعاناة تحدث كثيراً وقد دفعتني أكثر من مرة إلى الانعزال عن العمل لفترات طويلة أظل طيلة فترة هذا الانعزال أبحث عن صيغة توفق بين ما أردته في البداية وما صار يريده الـسارد والنص.

س6: تحتفي أحياناً في بعض قصصك ورواياتك بعتبة الإهداء، هل تولي هذه العتبة أهمية خاصة، ومتى تمارسها وتحرص عليها، هذا فيما يتعلق بإهداء الكتاب، أما إهداء النسخ فهل يعجبك صياغة الإهداءات لأصدقائك ومحبيك ومعجبيك ضمن ستراتيجية خاصة، أم تأتي غالباً عفو الخاطر وبنت لحظتها؟

ج6: اهتم وتلفتني إهداءات الكتب التي أقرأها، أجد فيها تقدمات للمؤلف ولعالمه الخاص، طبعاً فيما أملكه من محاولات للربط والتخيل إجمالاً فمن غير الـسهل التعرف على الكاتب من خلال الإهداء، لكن يمكن الاسـتدلال على جزء منه وقد لا يكون صحيحاً في أخر الأمر، على العكس لما أريد معرفته من الإهداءات التي يضعها الكتاب الآخرين.

أنا أهدي كتبي إلى أناس يعيشون من حولي ويكون لهم في لحظة طباعة الكتاب تأثير ما عليّ، في الغالبية العظمى من الإهداءات التي وضعتها على كتبي كنت خائباً ولم أتعلم نصيحة لصديقة في الماضي بأن لا أهدي أي عمل لإنسان لا يزال حياً، لأن الناس تتغير وتتكشف، وعلى الرغم من صحة ما نصحتني به هذه الصديقة إلا أنني لا زلت أهدي أعمالي للأحياء، إنّ مفهومي بأن الأشخاص تختلف أخلاقهم وتتغير بالضرورة فهي بذات الوقت بناءً على هذا التغير قد كانت في فترة ما في عمري تستحق هذا الإهداء.

لذلك لا زلت أهدي للبشر الذين يتغيرون، يعجبني هذا الجانب من العتبات، أما إهدائي النسخ فهي متعة خاصة إن كنت أصيغها لقريب وأعرفه أحاول أن أقول له في الإهداء لماذا أحبه، أو لماذا هو قريب مني، لذلك لم تأت إهداءاتي مرسومة على شاكلة واحدة أو مخطط لها، ولأنني لا أحب الرتابة ففي حفلات توقيع كتبي لا أكرر ذات العبارة بل أقلبها وأغير أشكالها بحيث لا أصيغ عبارة رتيبة واحدة مملة، مع معرفتي بأن ممتلك الكتاب يفهم بأنه مقصود هو شخصياً بعبارة الإهداء.

س7: تقسيم الفصول في الرواية، كيف يتمّ لديك، وعلى أيّ أساس؟ وهل ترغب بممارسة اللعب السرديّ في ذلك، ولاسيّما أنك لعبت لعبة تضادية على هذا الصعيد في روايتك (ورقة التوت)، يعني هل تتقصّد ذلك وما قيمته الرمزية؟

ج7: ويمكن أن تلاحظ هذا أيضاً في رواية "البوكس" أتقصد هذا التلاعب الشكلي ليس مناكفة بالقارئ، بل رغبة في زيادة التشويق أحياناً أو لتوضيح موقف الـ□ارد من شخوصه وطرائق □ير الأحداث، قد أعاني أحياناً في التنقل الزمني ليس من باب التذاكي على القارئ بل لرغبة أرى فيها خصوصية جمالية لا أ□عى لها بالقدر الذي تفرضه علي□يرورة النص والفكرة أحياناً.

س8: بعض الكتّاب يهتمّ كثيراً بالعتبات الخاصة بجماليات الطباعة، من حيث الخطّ وحجمه، ومن حيث تصميم الغلاف، والتقانات الطباعية المرافقة الأخرى، هل تتدخّل في ذلك مع دور النشر التي تنشر أعمالك، وما هي رؤيتك في ذلك؟

ج8: جماليات الطباعة همّ كبير وقد أكون في الماضي قد كرهت بعض أشكال روايتي لرداءة طباعتها أو غباء فكرة الغلاف، لكنني كنت محكوماً بم□ألة الطباعة خارج الأردن، وقبل أن يصبح من الـ□هل عليك مراجعة كتابك وأنت في البيت عن طريق النت مثلما هي عليه الحال اليوم، لم أحب بالمطلق غلاف رواية "ماري روز تعبر مدينة الشمس" الطبعة الأولى التي صدرت في بيروت، فعلى الرغم من موضوع هذه الرواية إلا أن الغلاف كان صورة لم□جد وكني□ة.

الآن ومع التفرغ من العمل صرت أدقق بكل التفاصيل من الغلاف إلى الورق والحرف والألوان، ولا□يما أنّ صديقين مقرّبين مني يعملان في هذا المجال التصميم والطباعة، أترك مهمة وضع أغلفة كتبي لصديقي المصمم وائل النابل□ي فهو قريب مني ويقرأني جيداً مثلما يقرأ ما أكتبه، وموضوعة الطباعة أيضاً يي□رها لي صديق أخر □مه خالد حتر يملك مطبعة حديثة في الأردن، فهما دائماً يضعان أمامي خيارات عديدة نناقشها ونعدلها ونعرضها على أصدقاء آخرين حتى نصل إلى ما نريده للغلاف وللطباعة.

إنّ شكل الكتاب والغلاف والألوان هي أول ما يلفت نظر القارئ، لذلك لاقت أغلفة كتبي الأخيرة البوكس ورائحة اللوز المر وحكاية □مها الحب إعجاباً لفت بعض الدار□ين للإشارة إليها في در□تهم للكتاب.

س9: وضع بعض المعلومات السيرية في نهاية الكتاب توصف بأنها أيضاً عتبة نصية قابلة للتحليل والقراءة، حيث يحرص بعض الكتاب على كتابتها بطريقة مختلفة وموحية ولها دلالات كثيرة، أنت كما وجدت في كتبك لا تستغلّ هذه العتبة لشحنها برسائل معينة تؤدي غرضاً يخدم العمل، لماذا؟

ج9: مثلما ذكرت □ابقاً لم أكن أملك الراحة للتدخل في شكل طباعة أعمالي وإخراجها مثلما أريد، من هنا فاتتني مثل هذه العتبة لكن عدت و□تدركتها في رواياتي الأخيرة، فأنا أميل إلى معرفة نُتف ولو قليلة عن الكاتب وأجد أن لقارئي ذات الحق في ذلك، مع أنني لا أميل إلى التفصيل والتطويل في هذا الحيز، لقد لجأت إلى فكرة وضع بريدي الإلكتروني وعنواني على الفيس بوك، فضلاً عن النبذة

الصغيرة التي عني، وأعتقد أن هذه أبواب تعطي للراغب بالتعرف عليّ مـاحة أكبر من اختصار الـيرة التي تكون على الكتاب مع ما فيها من حالة جمالية تضاف إلى شكل الكتاب.

س10: كلمة الغلاف، والمقدمة التي يكتبها الكاتب أو يكلف غيره بكتابتها، من العتبات المهمة أيضاً، ما المقدار الذي توليه أنت لهاتين العتبتين في كتبك، بوصفهما عتبتين كاشفتين ودالّتين على فضاء الكتاب؟

ج10: لقد انتهجت منذ أصدرت كتابي الثاني في وضع تقديم في كل مجموعة قصصية أو رواية يتضمن تلميحاً إضافياً بعد الغلاف لموضوعة العمل، لقد كان هذا التقديم في جميع ما أصدرت جمل وعبارات مـتوحاة من شخصية أو كتاب ما، أو مقاطع شعرية من قصائد أحبها أو غنائية تكون بالضرورة للـيدة فيروز وأنـبها لها حتى لو كانت من قصيدة معروفة ومعروف صاحبها، لا أحبذ أن يقوم أحد أياً كان أن يضع توطئة لعمل إبداعي ـواءً كان رواية أو قصة أو قصيدة، هذه التوطئة قد تكون لازمة لعمل نقدي أو لبحث درا ـي لكنها لي ـت ضرورة لتقديم رواية أو قصيدة، فالتوطئة متحيزة ولا يمكن أن تكون محايدة، فهي تربك القارئ وتضلله، مهما كان العمل عظيماً يجب أن نترك النص ليكشف عن نفـه، وضع فقرات من مقولات أو أراء لأشخاص أو كُتاب معينين على الغلاف الأخير يمكن قبولها، فهي بالعادة تكون قصيرة ومختصرة وتبدي وجهة نظر لا تتعدى كونها ملاحظة لا تبني العمل بالكامل ولا تحطمه بلا شك. أميل دائماً إلى وضع فقرة من الرواية على الغلاف الأخير لذات الأـباب وزيادة في التلميح إلى موضوعة هذا العمل.